ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير؟

مجموعة محاضرات لسماحة المرجع الديني آية الله
العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)

الناشر

هيئة الأنوار ١٤ الثقافية

للتواصل:

بريد إلكتروني: ALANWAR14GROUP@GMAIL.COM

هـاتف جـوال: ٠٠٩٦٦٥٦٠٢٥٧٥٧٦

دار الوصي – بيروت لبنان

بناية الحاج – الدور الاول

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

إن أمر الله سبحانه وتعالى بالأخذ بما يأمرنا به رسوله الكريم ﷺ، والانتهاء عما نهانا عنه ليس أمراً عبثياً، نظراً أن أوامر الرسول ونواهيه، ليست صادرة من نفسه الشريفه بل هي تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ وبالتالي فإن مخالفتها تعني مخالفة الله سبحانه والخروج من دائرة الإسلام إلى الكفر.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالالتزام بالسنن والقوانين التي يأمرنا بها رسول الله ﷺ، والانتهاء والابتعاد عن نواهيه، ومن خلال هذا التطبيق العملي للقوانين الإلهية تكون حياة البشر مبنية على نظام إلهي يضمن لهم حياة كريمة في عالم يسوده العدل والمساواة والكرامة والسعادة في الحياة الدنيا والفوز بجنان الله في الآخرة، عبر السير على نهج رباني بعيداً عن الاجتهادات البشرية القابلة للخطأ والخاضعة لطبيعة النفس البشرية التي تنظر بعين قاصرة واضعةً مصالحها الشخصية الآنية البسيطة في مقدمة أولويات حركتها حتى وإن جاءت على مصلحة البشرية بأكملها فضلاً عن

مجتمعها المحدود، كما لم يترك لهم حرية سن النظم انطلاقاً من مبدء التقوى الـذي يجب أن يكون حاكماً لقراراتهم مع الآخرين لعلمه بالطبيعة البشـرية التي تميل إلى حب السـيطرة والسـلطة واستعدادها لارتكاب المصائب من أجل تحقيق أهدافها الخاصة.

وللأسف الشديد فإن طبيعة البشر لا تقبل السير على نهج يُخط لها إلا بعد أن تجرب المحرمات وتتحمل الآلام والمصائب جراء تلك التجارب، وقد كان رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحذر المسـلمين من مغبة مخالفته والإتيان بما يتنافـى مـع أوامره ونواهيـه، ومع كل ذلـك التحذير الذي نـص عليه القرآن الكريـم والأحاديـث النبويـة الشـريفة، إلا أن المسـلمين قامـوا بالعديد من المخالفات الصريحة ودفعوا جراء ذلك ضريبة قاسية.

لقد عاش المسلمون مرارات وآلام مخالفتهم للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في معركة أحد، فقد أمرهم عليه السلام بعدم مغادرة مواقعهم وأوضح لهم بأن عليهم الالتـزام والمكوث في حـال الهزيمة أو النصر، وبين لهـم خطورة المغادرة التـي سـتؤدي إلـى هزيمة المسـلمين إن هم لـم يلتزموا بأوامـره عليه السلام، إلا أنهـم مع كل ذلك التحذيـر والتأكيد قاموا بمخالفته وتركـوا مواقعهم أعلى الجبل وجعلوا ظهر الجيش الإسـلامي مكشوفاً للعدو مما أدى إلى الهزيمة التاريخيـة، وتكبد المسـلمون خسـائر في صفوفهـم وأموالهم ظلـت ماثلة أمامهم لسنوات طويلة جعلتهم يحذرون بعدها من مخالفته عليه السلام.

وللأسـف الشـديد فإن مخالفتهم في أحد، غاب تأثيرها من جديد ولعب المنافقـون دورهـم لتزيين المخالفة وإبتـكار الأعذار واختـلاق الذرائع لإيجاد المبرر للإتيان بمخالفات جديدة، فلم يتورع أشدهم مخالفةً له عليه السلام من النطق بهـا وإثارة الهـرج والمرج بحضرته، ويدعي بكل وقاحة بأن النبي المعصوم عن الخطأ والمسدد من قبل الله سبحانه وتعالى، قد غلب عليه المرض وأنه (يهجر)

ليعيـد الكرة مـن جديد ويخالفه عليه السلام، ضارباً بأوامـر الله المنصوص عليها في القرآن الكريم عرض الحائط لتصبح بعد ذلك (رزية يوم الخميس).

لقـد كانت (رزية يوم الخميس) مقدمة للجريمة الكبرى ضد البشـرية بأجمعهـا، حين نفـذ المنافقون مخططهم الإجرامـي وأنكروا نص (الغدير) فأبصأرهم امتدت لارتقاء المناصب والتربع على الكراسي ضاربين بالأوامر الإلهيـة عرض الحائط، فجُّروا بفعلتهم الجريئة على الله ورسـوله الويلات والمصائب على البشرية من تلك اللحظة وحتى يومنا هذا.

لقـد حرمت هـذه الثلة مـن المنافقين البشـرية من الحيـاة بكرامة وعزة وسـعادة، وقدمـوا لهـا عوضاً عن ذلـك حياة مليئـة بالألم والجـوع والخوف والتشـرد والظلـم والقتل والإبـادة والكـوارث، نتيجةً لمخالفتهـم لأوامر الله سـبحانه وتعالى وتنحية أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام عن منصبه الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهـذا الكتاب الذي بيـن أيديكم (ماذا خسـر العالم بإقصـاء الغدير) لسـماحة آيـة الله العظمـى المرجـع الديني الكبير السـيد صادق الحسـيني الشـيرازي دام ظلـه، يوضح مـا الذي خسـره العالم بهذه المخالفـة، ولماذا سمي (الغدير) بعيد الله الأكبر.

نسـأل الله سـبحانه وتعالـى أن يجعلنا من السـائرين علـى نهج النبي الكريم وأهل بيته عليهم السلام ومن المتبعين لسـنتهم وأن يرزقنا في الدنيا ولايتهم وفـي الآخرة شـفاعتهم إنه سـميع مجيب الدعاء وآخر دعونـا أن الحمد لله رب العالمين.

هيئة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية

١/ ١٢/ ١٤٣٠هـ

مقدمة

إن عيد الغدير هو أعظم الأعياد في الإسلام على الإطلاق، كما ورد في الروايات! فما هو السرّ في ذلك؟ بتعبير آخر: ما الذي كان يحدث فيما لو تحقق واستمرّ مفهوم الغدير؟ وما الذي خسرناه إذ أقصي الغدير وطويت صفحته في التاريخ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أودّ أن ألفت نظركم إلى أن هناك زيارة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير رواها الأكابر من علمائنا عن اثنين من النوّاب الأربعة للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهما: عثمان بن سعيد (النائب الأول) والحسين بن روح (النائب الثالث)؛ وكلاهما من أصحاب الإمام الحسن العسكري، نقلا هذه الزيارة عنه عن أبيه الإمام الهادي عليهما السلام.

عندما جلبوا الإمام الهادي عليه السلام من المدينة إلى سامراء وكان معه ابنه الحسن العسكري عليه السلام مرّا على النجف الأشرف فوقفا على قبر جدّهما أمير المؤمنين عليه السلام وزاره الإمام الهادي عليه السلام بهذه الزيارة[1] المرجّو أن يواظب عليها المؤمنون كلَّ عام إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٦٢ ح ٦، زيارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المختصة.

هذه الزيارة الشريفة تزخر بمضامين ومفاهيم قلّما توجد في الزيارات الأخرى للإمام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولذلك ينبغي للزائر أن يتوقف عندها ويتأمل في عباراتها؛ ومن تلك العبارات قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة مخاطباً جدّه أمير المؤمنين عليه السلام: وحال بينك وبين مواهب الله لك. أي صار مانعاً وحائلاً بينك يا أمير المؤمنين وبين المواهب الإلهية لك. فما هي تلك المواهب التي حيل بينها وبين الإمام؟ هل حيل بينه وبين علمه أم عصمته أم مقامه وإمامته أم درجاته عند الله تعالى؟ وكلّها ثابتة له. لقد حيل بين الإمام عليه السلام وبين الحكومة، أي منعوه من الحق الذي وهبه الله تعالى له بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإدارة شؤون الأمّة الإسلامية.

لكن هذا الحؤول وهذا المنع أضرّا بالمسلمين أنفسهم، فلماذا قال الإمام الهادي عليه السلام: وبين مواهب الله لك - فاللام هنا هي لام النفع وقد دخلت على ضمير المخاطب - ولم يقل «للأمّة» مثلاً؟

نقول في الجواب: لأنّ المولى أمير المؤمنين عليه السلام هو المتفضّل علينا بما وهبه الله تعالى، لذلك لو لم يُقصَ الإمام عليه السلام وسُمح له بأن يحكم الأمّة مباشرة خلال هذه الثلاثين سنة التي عاشها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكانت حكومته امتداداً كاملاً ودقيقاً لحكومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بفارق واحد فقط وهو أنه ليس بنبي كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه[1].

وهذا معناه أن كل حالات الخير والعدل التي كانت ستقام منذ ذلك اليوم حتى يوم القيامة، وكذلك دفع كل حالات الظلم التي ما كانت لتقع فيما لو سُمح للإمام عليه السلام بممارسة حقه، كان نفعها سيعود للأمّة؛ لعدم تفريطها بمواهب الله تعالى التي وهبها كلّها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) راجع الهداية للصدوق: ١٥٧ - ١٦٢، حديث المنزلة والاستدلال عليه.

الإمام علي عليه السلام مرسي دعائم الحرية في العالم:

بعد بيان هذه المقدمة نعرض سؤالين هامين ونجيب عنهما باختصار:

الأولى: ما الذي كان سيحدث لو أن الغدير تحقَّق وكان الإمام هو الحاكم مباشرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وماذا خسر المسلمون والعالم بتغييب الغدير وإقصاء الإمام عليه السلام؟

الثانية: ماذا ينبغي لنا أن نعمل الآن؟ أي ما هي مسؤوليتنا تجاه ما حدث وقد مرّ عليه زهاء ١٤٠٠ عام، وما هو واجبنا حسب الأدلّة الشرعية؟

أما عن النقطة الأولى فالكلام كثير والروايات عديدة في المقام؛ ولو وُفّق أحد الباحثين لجمعها لألّف منها موسوعة وليس كتاباً واحداً، ولكن أُشير هنا إلى بعضها ليتبيّن لنا أننا إذا كنا نشهد اليوم بعض الحرية في العالم، في أيّ بقعة من الأرض وبأيّ درجة، فإن الفضل في ذلك يعود لأمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه هو الذي وضع أساسها وأرسى دعائمها - طبعاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فحديثنا عن مرحلة الغدير وما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكلّ من يتمتع اليوم بشيء من الحرية فهو مدين فيها لأمير المؤمنين عليه السلام، وكلّ من كان محروماً من الحرية فالسبب في ذلك يعود لعدم قيام واستمرار الغدير، ولإبعاد الإمام عليه السلام عن تحقيق ما أراده الله تعالى ورسوله له.

وإذا كانت هناك اليوم حرية في الغرب، فهي في أساسها مدينة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مع فارق أن الحرية الغربية خاطئة ومبتلاة بالإفراط والتفريط في حين أن الحرية التي طبّقها الإمام عليه السلام حرّية صحيحة ومعتدلة.

لنطالع الرواية التالية ثم نقارن مبادئ الحرية عند الإمام عليه السلام مع الحريات الموجودة اليوم في الدول التي ترفع شعار الحرية لنرى أيّهما أعظم.

لقد جاء الإمام إلى سدّة الحكم بعد مرور ٢٥ سنة من الغصب والظلم وغياب العدالة وكبت الحريات، فحتى تدوين الحديث -بل روايته- كان ممنوعاً يعاقَب مرتكبه وإن كان من أتباع السلطة وأنصارها؛ حتى أن عبد الله بن عمر نفسه لم يستطع أن يروي في زمن أبيه عمر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. في ظلّ أوضاع كهذه-حيث الحرية مغيَّبة إلى هذا الحدّ والمشاكل تحيط بالأمة من كلّ جهة- استلم الإمام عليه السلام زمام الحكم، ترى فكيف تصرّف مع الناس، وما هي حدود الحريات التي سمح بها لهم، سواءً في عاصمته الكوفة، حيث اختلاف المذاهب والمشارب والأعراق والأذواق، أو في البصرة بعدما تمرّدت بعض الطوائف ضدّه في حرب الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير، أو مع غيرهم من المارقين والقاسطين كالخوارج بقيادة الأشعث بن قيس وأهل الشام بقيادة معاوية؟

عندما حلّ شهر رمضان المبارك في السنة الأولى من حكومة الإمام نهى صلوات الله عليه أن تصلى النافلة في ليالي شهر رمضان المبارك جماعةً وأوصى بأن تصلَّى فرادى، كما سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واحتجَّ عليه السلام لرأيه بقوله: «إنه ما زال هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يشهدون أنه صلى الله عليه وآله وسلم جاء إلى المسجد الليلة الأولى من الشهر الكريم يريد أداء النافلة فاصطفَّ المسلمون للصلاة خلفه فنهاهم وقال: هذه الصلاة لا تؤدَّى جماعة ثم ذهب إلى بيته للصلاة»[1].

ولكن عمر عندما استلم الحكومة قال: «أرى أن يصلّي الناس هذه

(١) نهج الحق: ٢٨٩.

الصلاة جماعة»[1]. فصلاَّها الناس كذلك وأسموها بالتراويح.

أما الإمام عليه السلام فقد احتجَّ ببطلانها بنهي رسول الله عنها، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يُجِز أن تصلَّى جماعة ولم يقبل أن يؤمَّ المسلمين فيها وهو المبلّغ للصلاة والمؤسّس لها بأمر الله تعالى، بل قال: تصلَّى فرادى.

ومن هنا كان نهي الإمام عليه السلام من أن تصلى النوافل جماعة وأعلن ذلك وأوصى المسلمين أن يصلّوا نوافل الليل في شهر رمضان فرادى سواء في المساجد أو في البيوت.

إلا أن أولئك الذين اعتادوا على أدائها طيلة سنين لم يطيقوا منعها، فخرجوا في مظاهرات تطالب بإلغاء المنع، وكان شعارهم «واسنّة عمراه»، فماذا كان ردّ فعل الإمام عليه السلام؟

انظروا إلى عدالة الإمام عليه السلام والحرية التي يؤمن بها. فبالرغم من أنّه قال شيئاً واستدلّ عليه وكان استدلاله محكماً لم يستطع أن يشكّك فيه حتى أولئك الذين ما برحوا يختلقون الإشكالات الباطلة ويثيرونها في وجهه، حتى بلغ الأمر بهم أن يعدّوا بعض فضائله رذائل، كما عابوا عليه خلقه الذي هو فضيلة عظيمة فقالوا: «إنّه امرؤ فيه دعابة»[2]. حتى أولئك لم يشكّكوا في الاستدلال الذي طرحه الإمام عليه السلام لإثبات صحَّة ما ذهب إليه.

---

(١) روي عن عبد الرحمن بن عبد الباري قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: اني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه. عن دلائل الصدق للمظفّر: ٣ / ٧٨. صحيح البخاري بحاشية السندي: ١ / ٣٤٢.

(٢) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ٤٦٠ أحداث سنة ٢٣.

ومع ذلك ماذا فعل الإمام مع المتظاهرين الذين خرجوا ضدَّه؟ هل واجههم بالسلاح؟ هل اعتقلهم وسجنهم، أم نفى أحداً منهم؟ هل أحال بهم إلى المحاكم على أقلّ تقدير؟ كلا ثم كلا. إنه عليه السلام لم يفعل أيَّ شيء من ذلك معهم. فلم يقمع المظاهرات ولا استعمل العنف والقوة ضدهم، بل الأعظم من ذلك أنّه عليه السلام استجاب لمطالبهم ورفع المنع الذي أصدره وسمح لهم بممارسة سنّتهم هذه رغم أن تلك السنّة لم تكن حتى من الباطل المدلَّس بالحق بل كانت باطلاً واضحاً لا شكّ في بطلانها ولا شبهة، وهو الإمام الحق - كما نعتقد وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار[1] - والحاكم الذي يجوز له أن يُعمل ولايته ويحكم بما رأى كما فعل من سبقه.

ـ على رأي القوم على أقلّ تقدير ـ ومع ذلك قال الإمام لابنه الحسن عليه السلام: قل لهم صلّوا[2].

والآن قارنوا هذا الموقف مع ما تدّعيه أرقى الدول التي تزعم أنّها راعية الحرية اليوم. أجل إن المسؤولين في تلك الدول لا يوجهون بنادقهم للمتظاهرين -كما تفعل بعض الدول الإسلامية مع الأسف!- ولكن غالباً ما تنتهي المظاهرات بوقوع قتلى أو جرحى واعتقال بعض وإحالتهم إلى المحاكم والسجون.

---

(١) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى: ١ / ٢٠٢.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليه السلام أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة. فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليه السلام، صاحوا: وا عمراه وا عمراه! فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ما هذا الصوت؟... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلّوا. تهذيب الأحكام: ٣ / ٧٠ ح ٣٠.

فمـا قيمة مـا وصل إليه الغـرب إذا ما قيس إلى الحريـة في ظلّ حكم الإمام علي عليه السلام؟ أما في البلاد الإسـلامية فلا وجود حتى لذلك القدر من الحرية الموجودة في الغرب!

والأعجـب مـن هـذا أن الإمام عليه السلام منح هـذه الحريـات للناس في عصـر كان العالـم كلّه يعيش في ظلّ الاسـتبداد والفردية فـي الحكم، وكان الإمـام رئيس أكبر حكومة لا نظير لها اليوم سـواء مـن حيث القوة أو العدد، لأن الإمام كان يحكم زهاء خمسين دولة من دول عالم اليوم.

قـد توجد اليوم في العالـم حكومة تحكم ما ينيف عن المليار إنسـان كالحكومـة الصينية ولكنها ليسـت الأقوى. وقد توجـد حكومة تحكم دولة قويـة كالولايات المتحـدة ولكنها لا تحكم أكبر عدد مـن الناس؛ أما الإمام علي عليه السلام فكان يحكم أكبر رقعة من الأرض وأكبر عدد من الناس، وكانت الحكومة الإسلامية يومذاك أقوى حكومة على وجه الأرض، فالإمام عليه السلام لـم تنقصه القـوة، وكان يكفي أن يقول للرافضين: لا، ولكنه لم يقلها وأعلن للبشرية عملياً أنه ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1].

فلئـن كان في العالم شـيء من الحريـة اليوم فلا يعـود الفضل فيه إلا لإمامنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

القسم الأول:

ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير

كيف تعامل الإمام عليه السلام مع مثيري الحرب ضده؟

لـم يبادر الإمام بأية حـرب ابتداء، فكُلّ حروبه فُرضـت عليه، وأوّلها حـرب الجمل، والتي ما إن وضعت أوزارها وهُزم جندها حتى هرب الذين أشـعلوا فتيلهـا واختبأوا في حجـرات إحدى الدور في موضـع من البصرة، فتوجّـه أميـر المؤمنين عليه السلام فـي كوكبة من جنـوده إلى ذلـك المحلّ حتى انتهـى إلى الحجرة التي كانت فيها عائشـة فعاتبها أولاً قائلاً لها: أبهذا أمرك اللـه أو عهد به إليك رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم؟[1] ثم أمرها بالتهيـؤ لإرجاعها إلى المدينة المنورة.

يـروى أنـه عليه السلام قبل أن ينتهـي إلى الحجـرة التي كانت فيها عائشـة تظاهرت نسـوة المحاربين الذين خسروا المعركة وهتفن بشعارات في وجه الإمـام من قبيل: «هذا قاتل الأحبّة»[2]. ولكن الإمـام لم يبالِ بهنَ ولم يُظهر أيّ رد فعـل إزاءهن! فعدن إلى التظاهر والهتاف ضد الإمام عليه السلام بالشـعار نفسـه، وكان الإمـام يهمّ بمغـادرة المكان ولكنـه توقف هنيئة ثـم عاد وقال جملة واحدة فقط سـكتن كلّهن على أثرها.. لقـد قال لهن: لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار - وأومأ بيده إلى ثلاث حجر في الدار![3]

(١) راجع أمالي المفيد: ١٤ مجلس٣.
(٢) انظر تفسير فرات الكوفي: ١١١ ح١١٣ الآية٦٩ من سورة النساء.
(٣) المصدر نفسه.

فبالرغم من أن عائشة قد ألّبت على الإمام حتى فرضت عليه الحرب وبالرغم من أنها ومن خرج معها خسروا الحرب وانهزموا وتلبدوا، إلا أن الإمام اكتفى بعتابها ثم أمر بعد ذلك بإرجاعها مجلَّلة إلى المدينة وأمر أن لا يتعقَّب قادة الجيش المعادي ولا يلقى القبض عليهم ليعدمهم أو يسجنهم أو ينفيهم أو يحاكمهم!

إننا لم نعهد تعاملاً من هذا القبيل في تاريخ البشر، بل لم نعهده حتى في هذا اليوم وفي الدول التي ترفع شعارات الحرية وحقوق الإنسان، فإنهم ما إن ينتصروا في معاركهم الباطلة ويقبضوا على رؤوس الجهة المعادية حتى يسجنوهم أو يحيلوهم إلى محاكم خاصّة بصفتهم مجرمي حرب أو خونة ومتآمرين وقد يعدمونهم.

نعم، هذه هي الحرية التي نقول عنها لو أن الغدير قد حكم الأمّة طيلة الثلاثين سنة من عمر الإمام علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لنعمنا بظلّها إلى الآن، ولما شهدنا كلَّ هذه الويلات والمحن منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا وإلى أن يظهر منقذ البشرية الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟

بعد أن اضطرّ الإمام عليه السلام لخوض معركة صفين وسقط القتلى من الطرفين وكان النصر قاب قوسين أو أدنى من أمير المؤمنين عليه السلام، تدارك الجيش المعادي الأمر بحيلة رفع المصاحف وانطلت حيلتهم على قسم كبير ممن كان يحارب في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام فطالبوه بوقف الحرب وهدَّدوه إن لم يفعل. فاضطُرّ الإمام لوقف الحرب كما اضطُرَّ لخوضها وطلب من مالك الأشتر التوقّف عن التقدم، ثم أجبروه على قبول التحكيم ثم اعترضوا على قبوله له بعد ذلك مطلقين شعاراً ينطوي على مغالطة فقالوا: «لا حكم إلا

لله»[1]. وهكذا نشأت فرقة الخوارج من بطن جيش الإمام نفسه.

ولم يكتفِ هؤلاء بمروقهم حتى تظاهروا ضد الإمام أيضاً، ورفعوا في وجهه هذا الشعار عندما دخل المسجد وكان يوم الجمعة وهو إمام وحاكم لأكبر وأقوى دولة على وجه الأرض يومذاك[2].

ومع ذلك لم يعاقبهم الإمام عليه السلام بل لم يسمح لقادة جيشه أن يمنعوهم ولا أحال أحداً منهم إلى القضاء أو السجن؛ مع أنهم كانوا يعلمون -كما كان الإمام نفسه يعلم- بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: علي مع الحق والحق مع علي.

وهذا معناه أن الباطل كان يهتف بشعاراته في وجه الحق، ومع ذلك لم يمنع الحق أصحاب الباطل من حرية التعبير، فأين تجدون مثل هذه الحرية؟ هل عهدتم حرية كهذه حتى ممن يدعي حرصه عليها في هذا اليوم المعروف بعصر الحريات؟

والأعظم من هذا أن الإمام عليه السلام لم يُسَمِّ هولاء الذين خرجوا عليه وهتفوا بهذا الشعار في وجهه -ولا رضي أن يسمّوا- بالمنافقين[3] مع أنهم كانوا أجلى مصداق لهذه المادة، لأن هناك رواية متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق

(١) قال عليه السلام: «كلمة حقّ يراد بها باطل»! انظر نهج البلاغة: ٨٢، رقم٤٠ من كلام له عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم «لا حكم إلاّ لله».
(٢) راجع بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٤٣ - ٤١٩ باب٢٣ قتال الخوارج واحتجاجاته صلوات الله عليه.
(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٤٩٠، عنه بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٤٣ باب٢٣ رقم٥٨٧.

أو كافر»[1].

إن الذين خرجوا ضدَّ الإمام أمير المؤمنين هم المنافقون الحقيقيون، ولكن سياسة الإمام التي هي سياسة النبي والإسلام ومنهجهما في الحكم هو أن لا يستخدم سيف التخويف هذا ولا يقال عن المعارضين للحكم أنهم منافقون وإن كانوا هم المنافقين حقاً.

فمن أجل إدارة الحكومة ومراعاة المصلحة الأهمّ وملاحظة التزاحم ومراعاة حال الأمَّة والمعارضين أيضاً نهى الإمام أن يقال عنهم إنهم منافقون.

ماذا كنا سنربح لو تحقق الغدير؟

لو حكم الإمام وتحقّق الغدير لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة. ففي رواية أنّه قال سلمان لأبي بكر: قم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة[2]، فلفظة «الرغد» تشير إلى الكيف ولفظة «إلى يوم القيامة» تشير إلى كمّ السعادة التي كان سيتحقق فيما لو تحقق الغدير.

فالرغد في اللغة هو المعيشة التي لا ضنك فيها أبداً ولا أدنى ما يعكرها، فلا مرض ولا فقر ولا جهل ولا حروب ولا نزاع ولا قلق ولا مشكلات ولا حبس ولا ويلات، هذا هو معنى الرغد، ولذلك قيل فيه: وإنما العيش الرغد في الجنة[3].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢/ ٢٠٩ ح٧٠٣ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المحمودي.
(٢) كتاب سليم: ص٢٥٢.
(٣) بحار الأنوار: ٦ / ٢١٥.

وهذا معناه أنّه لو كان الإمام يحكم كما أراد الرسول ﷺ لما وُجد اليوم مريض ولا سجين واحد في العالم، ولا أُريقت قطرة دم ظلماً ولا وجد فقير ولا تنازع زوجان ولا قُطع رحم، فهذا هو مفهوم الرغد.

فهل تبيّن لماذا كان الغدير أعظم الأعياد في الإسلام؟ إن المفاهيم التي ينطوي عليها الغدير لا تتوفر حتى في عيدي الفطر والأضحى وغيرهما من أعياد الإسلام، فقارنوا بين كلّ الأعياد الإسلامية ومنها الجمعة وبين عيد الغدير وانظروا هل يؤيدنا التاريخ في كونه أعظم الأعياد أم لا؟

إذن لم يعد يخفى علينا معنى قول الإمام الصادق عليه السلام يوم غدير خم... هو عيد الله الأكبر[1].

ماذا حدث بإقصاء الغدير؟

والآن بعدما سُلب الإمام حق الخلافة وأُقصي عن الحكومة ولم يُمتثل أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في يوم الغدير، فما الذي حدث؟

أقول: بعد جلوس الإمام خمس وعشرين سنة في الدار بل منذ السنة الأولى التي أُنكر فيها الغدير عملياً بعد رحيل رسول الله ﷺ، ظهرت المشاحنات والقتل والحروب والظلم بدءاً من الظلم الذي حاق بمولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وإسقاطها محسناً[2] ثم بالحروب التي أسماها القائمون بها بحروب الردة واستمراراً بما تلاها من حروب حتى يومنا هذا، حيث قتل الملايين من البشر كلّ ذلك بسبب إقصاء الغدير وتجاهل قول رسول الله ﷺ: هذا وليكم من بعدي[3] أي متولّي أموركم وحاكمكم.

(١) التهذيب: ٣ / ١٤٣ ح١ باب صلاة الغدير.
(٢) راجع أعيان النساء للحكيمي: ٣٤٩، ترجمة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.
(٣) الكافي: ١ / ٢٥٣، ح٩.

هنـاك رواية تسـتدعي التأمل وتؤيد ما ذهبنا إليـه، مفادها أنه لو تحقق الغدير لما اختلف في هذه الأُمّة سـيفان[1] أي لما تحارب اثنان وهذه حقيقة واقعيـة، أما الحروب التي خاضها الإمام فلم تكن لتقع لو تحقق الغدير كما أراد اللـه تعالى ورسـوله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهـا فُرضت على الإمـام عليه السلام من قِبل أولئك الذين مكّنهم الأسبقون الذين لم يروقهم تحقق الغدير.

فصرنـا نشـهد على مرّ التاريـخ حروباً ودمـاراً وظلماً وفسـاداً وهتكاً للحرمـات حتـى آل الأمر إلى ما نشـهد اليوم من حـروب وتفجيرات وقتل وعنـف في كل بقاع العالم تقريباً، فهذا يقتل ذاك وذاك يظلم هذا، وعمليات خطف وإبادة ودمار في كل مكان، وهذا ما حذّرت منه مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بقولها: ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً[2].

بعبـارة أخرى: إن الهدف الذي سـيظهر من أجله الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كان سـيتحقق علـى يـد الإمام أمير المؤمنيـن عليه السلام، لو اسـتقاموا على دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وائتمروا به.

مسؤوليتنا تجاه الغدير:

النقطة الأخرى التي ينبغي التحدث عنها هي مسؤوليتنا تجاه الغدير.

إذا كان العالم لا يعرف الغدير وحقيقته بسبب إقصائه، وحُرم النهل من مبادئه وعطاياه، وحتى بعض المسلمين لم يتعلّم من عليّ عليه السلام وابتعد عن سـيرته، فما هي مسؤوليتنا نحن الذين أدركنا بعضاً من عظمة الغدير ووعينا خسارة البشرية جراء تغييب الغدير؟ وبتعبير آخر: كيف نُحيي الغدير؟

(١) حلية الأبرار للبحراني: ٢/ ٧٦ ح١ الباب٩ من خطبة الإمام الحسين عليه السلام.
(٢) راجع معاني الأخبار للصدوق: ٣٣٦ - ٣٣٨، باب معنى قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علّتها.

أقول: روي عن عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس[1]. والإمام لم يحصر المسألة في الشيعة أو المسلمين فقط بل قال «الناس» أي كل الناس.

فعالم اليوم يجهل الغدير، وتعاليم أهل البيت عليهم السلام بل يجهلها أكثر المسلمين مع الأسف. والمؤسف حقاً أن ترى شخصاً يُحسب من العلماء يعبِّر في موضع ما عن صلاح الدين الأيوبي بالقائد الإسلامي، مع أنّه حتى محبّوه وأتباعه ومن هم على مذهبه يقرّون أنّه حرق في واقعة واحدة مدينة بأكملها فأزهق أرواح كلّ سكّانها البالغ عددهم خمسين ألفاً وبينهم النساء والأطفال والشيوخ.

أرجو الله تعالى ببركة عيد الغدير أن يزيدنا معرفة بعظمة الغدير فنحن لا نعرف منها إلا اللفظ، أما العظمة فالله تعالى يقدّرها ورسوله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما. نسأل الله أن يتفضّل علينا بما نستطيع به، أن نؤدي واجبنا تجاه هذه القضية المباركة.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) معاني الأخبار: ١٨٠، باب من تعلّم علماً ليماري به السفهاء.

القسم الثاني:

قبس من الغدير

عيد اللّه الأكبر

طبقـاً للروايات الإسـلامية فإنّ عيد الغدير هو أعظـم أعياد الله تبارك وتعالى.

روي عن الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يوم غدير خمّ أفضل أعياد أمّتي وهو اليوم الذي أمرني الله ـ تعالى ذكره ـ فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علَماً لأمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتمّ على أمّتي النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً»[1].

وعـن عبد الرحمن بن سـالم عن أبيه قال: سـألت أبا عبد الله عليه السلام: «هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمهما حرمة، قلت: وأيّ عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصّب فيه رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنيـن عليه السلام وقال: من كنت مـولاه فعليّ مولاه. قلت: وأيّ يوم هو؟ قال... يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة»[2].

فعيـد الغديـر ليس يوم أميـر المؤمنين علي عليه السلام وحـده، بل هو يوم الرسـول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، بـل يجب القول بأنّه يوم اللـه تعالى، لأنّ الله تعالى والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام في امتداد بعض.

(١) الأمالي، الصدوق، ١٨٨/ ١٩٧، الإقبال، السيد ابن طاووس، ٢/ ٢٦٤.
(٢) أصول الكافي، الكليني، ٤/ ١٤٩، ح٣.

لقد ذكر الله تعالى هذا اليوم فقال: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً**﴾. وحسب هذه الآية الكريمة فإنّ كمال الإسلام حصل عندما أعلنت ولاية علي عليه السلام كفريضة.

كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ...**﴾ يقول الله عزّ وجلّ: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض»[1].

لقد أوحى الله عزّ وجلّ بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأخرى حتى ختمها بالولاية، لأنّه عندما تمّ بيان هذا الحكم، أنزل الله هذه الآية «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ...» ليعلن أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدرك الناس مراد الله تعالى من الآية الكريمة: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ وعلموا أنّ عليهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامتثال لطاعة أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين عليهم السلام.

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: «آخر فريضة أنزلها الله الولاية: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً**﴾[2].

إذن، فريضة الولاية كانت آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ومن ثمّ قُبض صلى الله عليه وآله وسلم.

الغدير ووفور النعمة:

ممّا يثير الانتباه في هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع الولاية، أي كما أنّ تحقّق كمال الدين ارتبط بالولاية

(١) دعائم الإسلام، القاضي نعمان المغربي، ١/ ١٤.
(٢) تفسير العيّاشي، ١/ ٢٩٢/ ٢٠.

فإنّ إتمام النعمة أنيط بإعلانها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمقصود بالنعمة جميع النعم، ظاهرها وباطنها مثل العدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية والإحساس بالأمن، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا.

لذا، فموقف الذين سعوا إلى تفسير النعمة بالشريعة والولاية واعتبارها مجرّد مسألة معنوية محلّ تأمّل ونظر، لأنّ الآية المذكورة لم تتطرّق لمسألة أصل النعمة، بل الحديث يدور حول «إتمام النعمة» فأينما ورد ذكر إتمام النعمة في القرآن الكريم كان المراد منها النعم التي يصيبها الإنسان في الدنيا[1]، ومن هنا توجد علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والتمتّع بالنعم الدنيوية، وإحدى الشروط المهمّة والرئيسية للوصول بنا إلى مجتمع الحرية والبناء القائم على أساس العدالة والأخلاق وسيادة القيم والفضائل الأخلاقية الإنسانية أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، بعبارة أخرى: إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، له أثر تكويني، ويوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أقاموا التَوْراةَ وَالإنْجيلَ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ لأكَلوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِم**﴾[2].

لو أردنا أن نشرح الغدير في عبارة موجزة نقول: الغدير هو الوعاء الذي تصبّ فيه جميع تضحيات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مخزن الأحكام والآداب التي أوحى الله تعالى بها إلى رسوله الأمين، وفي إشارة إلى هذه

(١) سورة المائدة، الآية ٣ و٦؛ سورة البقرة، الآية ١٥٠؛ سورة يوسف عليه السلام، الآية ٦؛ سورة النحل، الآية ٨١، سورة الفتح، الآية ٢.
(٢) سورة المائدة، الآية ٦٦.

الحقيقة يقول جلّ وعلا: ﴿**يا أَيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه**﴾[1].

والغدير روضة الفضائل والأخلاق والمكارم والمحاسن بل هو المكارم بعينها، ويدين التطور الحضاري والمعنوي له؛ وذلك لأنّه كان أهمّ عامل في حفظ كيان الإسلام والدين، ويعدّ إنكاره بمثابة إنكار لجميع القيم الإسلامية السامية الممتدّة على أرض الإسلام الواسعة.

على هذا، كلّ عقيدة لا تغرف من معين الغدير فإنّها على وهن وفاقدة للأساس، والغدير بجوهره وروحه يعني مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام التي تصلح لإسعاد البشر أجمع، فأمير المؤمنين عليه السلام هو بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم آيات الله عزّ وجلّ ولا تضاهيه آية، وفي هذا يقول الإمام الباقر عليه السلام للّذي أراد سبر معرفة الله بدون أمير المؤمنين عليه السلام: «فليشرّق وليغرّب» أي لن يبلغ غايته ولو يمّم وجهه شرقاً وغرباً، إنّه لمن تعاسة الإنسان وسوء حظّه أن يطلب العلم والمعرفة من غير طريق علي وآل علي عليهم السلام، وهذا العلم إن حصل، فإنه ليس بذاك لأنّه مفرّغ من القيم الأخلاقية والمعنوية وبعيد عن روح الشريعة.

الغدير والتعاطف مع الناس:

إحدى خصال الإمام علي عليه السلام خاصة في فترة خلافته هي تعاطفه مع الناس، ويتجلّى تعاطفه مع أفقر الناس من خلال عمله وقد قال: «ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

فهـو عليه السلام لـم يضع حجراً على حجر، ولم يسـكن قصـراً فارهاً ولم يمتـطِ فرسـاً مطهّمـاً، وتحمّل كلّ المصاعـب هذه لئلا يكون هنـاك فرد في أقصـى نقاط دولتـه يتبيّغ بفقره لا يجـد حتى وجبة غذاء واحدة تسـدّ رمقه، وهـو القائـل: «لعلّ هناك بالحجاز أو اليمامة مـن لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع»[1] لذا فإنّه لمجرد أن يحتمل عليه السلام وجود أفراد في المناطق النائيـة من رقعة حكومته جوعى، لم يكن ينـام ليلته ممتلئ البطن، وقد حرم نفسه حتى من متوسط الطعام واللباس والمسكن ولوازم الحياة العادية.

أراد الإمـام علي عليه السلام بنهجه هذا تحقيق هدفين: الأول: أن يُبعد عنه أي شبهة كحاكم إسلامي، ويسلب منتقديه أي حجّة تدينه، هؤلاء المنتقدين الذين أنكروا عليه حتى مناقبه[2].

والهدف الثاني: هو تذكير الحكّام المسـلمين بمسـؤولياتهم الخطيرة تجـاه آلام النـاس وفقرهـم فـي ظـلّ حكوماتهـم، وضـرورة إقامـة العـدل والتعاطـف مـع آلامهم وعذاباتهم، والسـعي بجـدّ من أجل تأميـن الرفاهية والعيش الكريم لهم.

من هذا المنطلق، فإن مجرّد احتمال وجود أناس يتضوّرون جوعاً في أبعـد نقاط الحكومة الإسـلامية يعتبر في ميزان الإمام علي عليه السلام مسـؤولية ذات تبعـات، لـذا فهو عليه السلام يؤكّد على الحكّام ضرورة أن يجعلوا مسـتوى عيشهم بنفس مستوى عيش أولئك، وأن يشاركوهم شظف العيش.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) لقد أنكر هؤلاء المنتقدون قصة تصدّقه عليه السلام بالخاتم راكعاً، على الرغم من أنّ معظم المفسّرين قد أقرّوا بأنّ الآية الكريمة: ﴿**إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والّذينَ آمَنوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعون**﴾ نزلت في شأن الإمام علي عليه السلام، وهو مصداقها الوحيد.

وهنا تتجلى عظمة الغدير أكثر فأكثر، وتسطع أنوار القيم والتعاليم السامية التي يحملها يوماً بعد آخر، تلك القيم التي تؤمّن التوازن السليم بين المتطلبات الروحية والعقلية والمادية والمعنوية للبشر، لتحقّق السعادة للجميع أفراداً ومجتمعات، حكاماً ومحكومين.

مبادئ مدرسة الغدير:

وهي مبادئ واسعة وعميقة لدرجة أنّه لا يستطيع أحد الإحاطة بها وبكنهها جميعها، إلاّ قبساتها التي تشعّ، ومن أقوال الإمام علي عليه السلام، على سبيل المثال، ألفت نظركم إلى العبارة التالية الموجزة الكلمات والعميقة الغور: «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت»[1].

النقطة البالغة الأهمية التي تتضمّنها هذه العبارة أنّ الإمام عليه السلام قد استخدم كلمة «لو» وهي كما يذكر علماء الأدب ليس مجرد حرف شرط، بل حرف شرط يدلّ على امتناع لامتناع أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿**لَوْ كانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا**﴾[2]، أي لو كان في الأرض والسماء آلهة غير الله عزّ وجلّ لانفرط عقد الكون، ولكنّ الأمر ليس كذلك، فالسماوات والأرض باقيتان على حالهما ممسكتان إذن ليس فيهما آلهة إلا الله، فحرف (لو) سلفاً يدلّ على أن ما بعده من الشرط غير ممكن.

وهكذا نحو قولنا: لو كان لي جناحان لطرت بهما، فانتفى طيراني لعدم امتلاكي جناحين، فـ(لو) ابتداءً يدلّ على انتفاء مدخوله، من هنا يكون

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٥٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

معنى قوله عليه السلام: «والله لو أعطيت...»: أن عصياني لله تعالى في ظلم نملة بهذا المقدار القليل لا يمكن تحققه حتى إذا كان بإعطائي مقابله الأقاليم السبعة، وهذا المعنى يؤشر عليه حرف (لو).

والإمام عليه السلام غير مستعدّ للفوز بملك الأقاليم السبعة في مقابل معصية الله ولو في سلب قوت نملة واحدة، ففي القول دلالة على نملة مفردة.

ونقطة ثانية مهمة في العبارة المذكورة هي استخدام كلمة «جلب شعيرة» وهي قشرة حبة الشعير الرقيقة، والتي تنزع عنها تلقائياً، ولو كان يوجد ما هو أتفه شأناً من جلب الشعير لقارن الإمام عليه السلام به، من هنا فقد أقام الحجّة على جميع الحكّام وولاة الأمر، واضعاً إيّاهم أمام مسؤولياتهم الخطيرة، هؤلاء الحكّام الذين لا يتورّعون عن ارتكاب أي جريمة، فيبيدون الحرث والنسل، ويزهقون الآلاف من الأرواح الطاهرة البريئة من أجل شبر من الأرض أو مال قليل أو بلوغ المناصب والتمتّع بحطام الدنيا الزائل.

حسب ثقافة الغدير، فإنّ في سلب النملة جلب شعيرة معصية، فما بالك بقتل الأفراد بالظنّة والشبهة، في النقطة المقابلة، نجد المنطق الأموي والعباسي الذي كان يعاقب الأفراد بتهمة حبّهم لعلي عليه السلام، ويقمع الخصوم الفكريين لأدنى شبهة.

والحكام السابقون للإمام علي عليه السلام أيضاً كانوا يسيرون على هذا النهج نفسه -أي نهج الحكام الأمويين والعباسيين- حيث كانوا يخنقون أصوات المعارضين لأتفه الأسباب، فمثلاً أرسل أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد للإجهاز على معارضيه، وقد أدّى خالد المهمّة بوحشية وبشاعة بإهراقه دماء فريق من المسلمين في حروب سمّيت «بحروب الردّة» وتحت

ذريعة محاربة المرتدّين، إلاّ أنّ معظم الذين سفكت دماؤهم من قبل خالد وجيشه كانوا من المسلمين الأبرياء، ولم تكن تهمة الارتداد سوى ذريعة[1].

بل إنّ الأساليب التّي اتّبعها خالد في حربه ضدّهم كانت مخالفة تماماً لنهج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليم الإسلام، وتتلخص أساليب خالد في قتل المسلمين بقذفهم من المرتفعات والأماكن العالية، وحرقهم وهم أحياء، والتمثيل بهم، وقطع أوصالهم، وإلقائهم في الآبار، في حين كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن المثلة حتى بالكلب، في هذا يوصي الإمام علي عليه السلام أهل بيته محذراً إيّاهم من التمثيل بقاتله، بقوله: «.. فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[2] وهذا غيض لفيض من الفظائع التي ارتكبها خالد وهو منطلق بأمر أبي بكر.

الغدير والمشاعر الإنسانية

بركة أخرى من بركات الغدير هي الوقوف على الجانب العاطفي من شخصية الإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام الذين نصّبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخلافته من بعده، ففيهم تتجلّى الرحمة الإلهية على الخلق وهم التجسيد الحيّ لأسمائه الحسنى، حيث ورد في بعض الروايات أنّ الآية الكريمة: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[3] نزلت في شأنهم.

فمن شفقة أمير المؤمنين عليه السلام على الخلق أنه أعطى طعامه للأسير واليتيم والمسكين وبات جائعاً هو وزوجته وولداه الحسن والحسين عليهم السلام

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ١١٨٩ـ١٣٠٣، محمد حسين روحاني، كتاب الردّة، محمد بن عمر بن واقد، ١٤٠. تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٩، محمد إبراهيم آيتي.
(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٧، صبحي الصالح.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

ثلاثـة أيـام متواليات، ولـم يكن طعامهم سـوى أقراص خبـز، وعلى فراش الشـهادة أوصـى عليه السلام بإعطاء مقدار مـن الحليب الـذي كان يتناوله كدواء إلـى قاتلـه ابن ملجـم، وأن لا يُبخس حقّه فـي المأكل والمشـرب والمكان والملبـس المناسـب[1]، بـل كان يطالبهم أن يعفوا عن ابـن ملجم حيث قال لهـم: «إن أعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسـنة فاعفـوا، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم»[2].

يـروي المؤرخـون أنّه بعد استشـهاد الإمام علـي عليه السلام كانت له درع مرهونة عند يهودي، بينما بلغت أموال عثمان بن عفان بعد مقتله ١٥٠ ألف دينـار ومليون درهـم، وكانت لعثمان أيضـاً أملاك فـي وادي القرى وحنين ونواحـي أخـرى تقدّر بـ٢٠٠ ألف دينار، هذا بالإضافـة إلى أعداد كبيرة من الإبل والفرس[3].

فلتقـارن هذه الثروة العظيمـة التي خلّفها عثمان مـع الدَيْن الذي كان بذمّة الإمام علي عليه السلام عند استشهاده ليتبيّن لنا البون الشاسع بين المنهجين ونكتشـف عظمة علي عليه السلام والغدير أكثر فأكثـر، وهنا ينجلي لنا جانب من السرّ الذي تنطوي عليه عظمة الغدير ومقولة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره أهمّ الأعياد.

---

(١) كان عليه السلام يقول: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا وليّ دمي، فإمّا عفوت وإمّا اقتصصت، وإن أمت فألحقوه بي، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين. البلاذري، أنساب الأشراف،، ٣/ ٢٥٦. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ١٨١. وفي رواية أخرى: أطعموه من طعامي، اسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا متّ فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها. المناقب، الخوارزمي، ٣٨٨/ ٤٠٣، مقتل أمير المؤمنين، ٢٣ـ ٤٠.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٧، صبحي الصالح.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ١/ ٣٩٣، محمد پروين گنابادي.

مسؤوليتنا تجاه الغدير:

لكـي نعرف طبيعة وحجم المسـؤولية التي يلقيهـا الغدير على عاتقنا يجب أولاً أن نسأل أنفسنا، إلى أي مدى تعرّف العالم المعاصر على الغدير وسـبر أسـراره العميقة؟ وإذا كان يجهل الغدير فمن الذي يتحمّل مسـؤولية هـذا الجهل؟ وما طبيعة المسـؤولية التي نضطلع بها فـي الغدير أمام الله عزّ وجلّ وتجاه المجتمعات الإسلامية؟

في الحقيقة، لا يحمل الجيل الحالي عموماً تصوراً واضحاً وصحيحاً عـن الغدير، و تقع مسـؤولية ذلك على عاتقنا نحن فـي الدرجة الأولى، فلو أدّينا واجبنا في شـرح فكرة الغدير للناس لكان الوضع أفضل ممّا نحن عليه الآن.

كان علينا أن نوضّح للعالم بأنّ الغدير يعني تحقيق الرفاهية وتوسـيع نطاقهـا، وبلـوغ التقـدم والرقـي والوفـور وعمـران المجتمعات الإنسـانية الغدير يعني المسـاواة بين الممسـكين بمقاليد الاقتصـاد والمال وبين باقي أفـراد المجتمـع، والقضاء على الطفيلية والعصابات، وحسـب ثقافة الغدير فإنّ المسـؤولين عن الشـؤون المالية هم المؤتمنون فحسـب ولا شيء أكثر مـن ذلك، الخلاصـة إنّ الغدير يعني ميثاق ولاة الأمر مـع الله عزّ وجلّ بأن يجعلوا مسـتوى عيشـهم بمسـتوى أقلّ الأفراد في المجتمع، وأن يحاكوهم في المأكل والمسكن والملبس والرفاهية... إلخ.

في الختام، نؤكّد المسـؤولية الخطيـرة الملقاة على عاتقنا إزاء الغدير وأميـر المؤمنيـن عليه السلام، وضـرورة الالتـزام بهـذه المسـؤولية فيمـا يتعلّـق بالغدير، ومن أهمّ هذه المسـؤوليات في الوقت الراهن نشـر مفاهيم الغدير ودعوة عموم الناس لينهلوا من هذه المائدة السـماوية؛ وفي غير الحالة هذه

لا يوجد أدنى أمل في كفّ الحكّام المستبدّين أيديهم عن المستضعفين وإنقاذ الإنسانية يوماً ما من هذا الوضع السيّئ والخطير، والوصول إلى ساحل الأمن والرفاهية والعدل والحرية.

إذن، عندما يكون الحديث عن الغدير، فإنه في الواقع حديثٌ عن المعاني التي ذكرناها آنفاً، مجسّدة الروح العظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام.

بقي أن نتساءل: يا ترى هل سينجب التاريخ حاكماً عادلاً يقتفي أثر الإمام علي عليه السلام الذي كان يتعاطف مع أضعف مواطني حكومته؟ هنا يتوضّح جلياً مغزى قول الإمام الرضا عليه السلام: «لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كلّ يوم عشر مرّات»[1].

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ٩٤/ ١١٨.

القسم الثالث:

لا إسلام من دون الغدير

إن العيد الإسلامي ليس كسائر الأعياد، إذ لا يمكن عدّ أي يوم عيداً إسلامياً مهماً بلغ من العظمة ما لم يكن مشرّعاً أي سمّاه الشرع عيداً، فهناك أيام عظيمة في الإسلام مثل يوم النصف من رجب و ليلة النصف من شعبان ويوم دحو الأرض ويوم المباهلة وغيرها، ووردت في فضلها روايات كثيرة إلاّ أن الأعياد في الإسلام أربعة فقط وهي: الجمعة والفطر والأضحى والغدير وهو أعظمهما.

بالغدير كمل الدين:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1] ويستفاد من هذه الآية الكريمة أن الإسلام من دون الغدير ليس إسلاماً أصلاً، لا أنه ناقص أو غير تام؛ لأن الله تعالى عندما تحدّث في الآية المباركة عن الدين -أي الشريعة والطريقة- قال: ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ أي أكمله بالغدير، وعندما تحدّث عن النعم قال: ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ أي أتمّها به، ولكنه عندما وصلت النوبة إلى الإسلام قال سبحانه: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ أي عادله بالغدير وبالتالي فإن الإسلام من دون الغدير ليس إسلاماً، كما أن الإسلام من دون الرسالة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعد إسلاماً، لا كما قال عمر: حسبنا كتاب الله، لأن القرآن من دون الرسول ليس قرآناً، كيف والله تعالى يقول في القرآن نفسه:

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] فعدم الأخذ بما آتاه الرسول يعد رفضاً للقرآن.

رفض الغدير رفض للإسلام:

إن الواجب الارتباطي إذا أتى المكلّف ببعضه وترك بعضه لا يقال إنه أتى بالواجب، فمثلاً لو صلّى الشخص -عالماً عامداً- صلاة الظهر ثلاث ركعات لا يقال إنه صلّى الظهر صلاة ناقصة وأنه سيعطى من الأجر عليها بمقدار ما أتى منها، بل لا تقبل منه على أنها صلاة أصلاً، وهكذا فإن العمل بالقرآن وترك العمل بسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعدّ عملاً بالقرآن لا أنه عمل ناقص أو غير مفيد فحسب. إذن فرفض أمر الله ورسوله في الغدير يعادل رفض الإسلام، وإن أُطلق عليه السلام العام مقابل الإسلام الخاص فهو رعاية للمصلحة الإسلامية.

إذن لا فرق في عدم قبول الغدير والولاية، وعدم قبول النبوّة والرسالة إلاّ في أن تبليغ النبوّة كان من الله والوحي مباشرة، وتبليغ الولاية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أجل قد يعذر الجاهل القاصر ولكن حقيقة الإسلام هي هي، لا تختلف على كل حال، فلا يقال الإسلام من دون الغدير إسلاماً.

ومثل ذلك كمن كان منذ بلوغه يؤدي الصلاة لعشرات السنين كاملة من حيث استيفائها لكل شروط الصلاة إلا أمراً واحداً وهو تكبيرة الإحرام فإنه لم يكن يؤديها جهلاً، فهل يقال عما كان يقوم به طيلة هذه المدة صلاة؟ كلا بالطبع، ولا كلام لنا في حسابه فهو مع الله والله أولى بالعفو.

نعم، إن الغدير والقرآن كليهما ثقافة واحدة، ويتكوّن الإسلام منهما

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

فإذا غُيّب القرآن فقد غُيّبت العترة والغدير، وإذا غُيّبا غاب القرآن أيضاً.

سبب تعاسة المسلمين:

إن الغدير ثقافة ومظهرها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة العاشرة للهجرة الشريفة عند غدير خم، فعندما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إلى الإسلام في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، كان يقول أدعوكم لما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة، فهل المسلمون اليوم سعداء؟ وهل الإسلام الحقيقي موجود؟ بل ما معنى السعادة؟

ألا تعني السعادة أن يعيش الإنسان في رغد سواء من الناحية المادية أو المعنوية، فهل المسلمون اليوم كذلك؟

إنّ الأحاديث المرويّة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل بيته عليهم السلام تؤكّد أنه لو طبّق الناس ما دعا إليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة.

إن العالم يغطّ اليوم في الظلام، وأنّ كل ما يعانيه فإنّما هو بسبب حرمانه من الغدير ومنهجه وثقافته.

السعادة في الغدير:

هنالك الكثير من الروايات التي تفيد أنّه لو التزم الناس بوصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير لما حدثت كل المشاكل ولما اختلف في الأمّة سيفان ولأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولعاشوا في رغد إلى يوم القيامة، ومنها:

قالت سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن دخل عليها نساء

المهاجرين والأنصار يعدنها في مرضها الذي توفيت فيه: «...وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته لحتفه وشدّة وطأته، ونكال وقعته وتنمّره في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم حشاشه، ولا يكل سائره، ولا يمل راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً روياً تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه، ولأصدرهم بطاناً ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1]».

قال الإمام الحسن المجتبى في الخطبة التي خطبها بعد معاهدته مع معاوية: «...ولكن أُقسم بالله قسماً تالياً: لو أن الناس سمعوا قول الله ورسوله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة...»[2].

لكنهم لم يفعلوا فلم ينعموا بتلك السعادة التي وعدهم بها الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾. فمن الواضح أنه في الغدير كان إكمال الدين وإتمام النعمة، وغياب الغدير يعني عدم إكمال الدين ولا إتمام النعمة.

إننا نشهد اليوم دولاً إسلامية كثيرة في العالم ولكنّا لا نجدهم يرفلون بالسعادة، وسبب ذلك هو طمس معالم الغدير وبالتالي عدم إكمال الدين

(١) / الاحتجاج للطبرسي رَحِمَهُ اللهُ / ج١/ ص١٤٦-١٤٩.
(٢) / أمالي الطوسي/ المجلس (٢١) الجمعة الحادي عشر من صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة/ ص٥٦٦/ ح١.

كما أراد الله تعالى للمسلمين.

إذن ينبغي الإذعان أن العالم اليوم يغطّ في الظلام وأن كل المشكلات التي يعاني منها إنما تعود لغياب منهج الغدير، فلو عرف الناس الغدير لسارعوا إليه ووردوا مناهله.

مسؤوليتنا اليوم:

إن المسؤولية الملقاة على عاتقنا اليوم هي نشر ثقافة الغدير في العالم وتعريف الشعوب والمسلمين بالغدير وترسيخ مبادئه في أوساط المؤمنين عبر مختلف الوسائل كالكتاب ووسائل الإعلام الحديثة بإسلوب جذّاب وعصري، وهو عمل يتطلّب جهوداً كبيرة ويتحمّل الشباب مسؤولية مضاعفة في هذا المجال، فعلى المؤمنين جميعاً أن يجدّوا ويجتهدوا من أجل تبليغ رسالة الله تعالى والنبي الأكرم وأهل البيت للعالم، وهنا أذكّر المؤمنين بخصلتين من الضروري أن يتحلّوا بهما على هذا الطريق، وهما:

١- التذكير المتواصل والتواصي بالحق الذي هو الغدير.
٢- الصبر وعدم اليأس حتى تتحقق النتيجة المطلوبة بإذن الله تعالى.

لم يسلم كل من أسلم منذ أن أطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعوته، وربّما أسلم بعض العرب بعد عشرين سنة ولكن مع ذلك حسن إسلامه، ونحن أيضاً لا ينبغي لنا اليأس أو نتوقع أن يستجيب العالم لنا دفعة واحدة، ولكن لنعلم أن الناس إذا أدركوا حقيقة الغدير سارعوا إليه ووردوا مناهله.

المحتويات

كلمـة الناشـر ٣
مقدمة ٧

القسم الأول: ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير ١٥
كيف تعامل الإمام عليه السلام مع مثيري الحرب ضده؟ ١٥
كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟ ١٦
ماذا كنا سنربح لو تحقق الغدير؟ ١٨
ماذا حدث بإقصاء الغدير؟ ١٩
مسؤوليتنا تجاه الغدير ٢٠

القسم الثاني: قبس من الغدير ٢٣
عيد اللَّـه الأكبر ٢٣
الغدير ووفور النعمة ٢٤
الغدير والتعاطف مع الناس ٢٦
مبادئ مدرسة الغدير ٢٨
مسؤوليتنا تجاه الغدير ٣٢

القسم الثالث: لا إسلام من دون الغدير ٣٥
بالغدير كمل الدين ٣٥

رفض الغدير رفض للإسلام ٣٦
سبب تعاسة المسلمين ٣٧
السعادة في الغدير..... ٣٧
مسؤوليتنا اليوم ٣٩
المحتويات..... ٤١